الآثار والنقوش الصخرية في الجزيرة الشمالية

بول لويس فان بيرغ وفينسيان بيكالوز
جامعة بروكسل الحرة، بلجيكا

تم اكتشاف العديد من تجمعات النقوش الصخرية الغزيرة على حافة الهضبة البازلتية التي تمتد بين الدرباسية في الشمال والحسكة في الجنوب. وتقع كافة هذه المواقع على المنحدرات التي تصل الهضبة بالسهول المشكلة من الطمي في وادي عويج وروافده الغربية.

وقد تم تحديد ستة تجمعات من النقوش الجدارية حتى الآن، وذلك على مسافة نحو ٣٠ كلم من الجنوب إلى الشمال: ذبعان (خمسة صخور منقوشة)، خشام (٥٠٠ صخرة)، باشكوي (١٥ صخرة)، تل بيدر (صخرتان)، كفرة (٦٠٠ - ٧٠٠ صخرة)، خان ومرة (حوالي ١٠٠ صخرة). في حين أن العديد من المواقع الصخرية الجدارية معروفة منذ نحو ثلاثين سنة في الشرق الأدنى، من أرمينيا إلى اليمن، ومن الإمارات العربية المتحدة حتى وادي النيل، لكن النقوش الصخرية في الجزيرة تعتبر أولى المواقع الكبرى للفن الصخري القديم التي تمت دراستها بشكل منهجي في سورية. وباستثناء تل بيدر تشتمل المواقع المذكورة أيضاً في الجوار القريب من الصخور المنقوشة على بقايا وآثار عمارات حجرية، مدورة ومستطيلة. وتمتد هذه البنى الأثرية في خيشام وكفرة وخان - مرة بين نحو ١,٥ إلى ٢ كلم. وهي عبارة عن مساكن كبيرة خارج التلال، الأمر الذي يشكل أيضاً حالة جديدة في الجزيرة السورية.

نتجت هذه الاكتشافات عن ثلاث حملات استكشافية ميدانية قصيرة بالإضافة لعدد من الأسبار والرفوعات الهندسية التي تمت في عامي ١٩٩٨ و ١٩٩٩ وفي موقع خيشام (الحسكة) على يد بول - لويس فان بيرغ، في إطار بعثة تل بيدر (بإدارة مارك لوبو وأنطوان سليمان). وفي تشرين الأول من عام ٢٠٠١ قامت بعثة مستقلة عن بعثة تل بيدر برئاسة فان بيرغ وخالد أحمو (من مديرية الآثار في الحسكة) بدراسة موقع خيشام بشكل منهجي(وقع الخرائط ورفع المعطيات النقوشية والأسبار)، كما نظمت بضعة أيام للتحري في المواقع القريبة.